

التقرير اليومي

2007/5/21

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

المحادثات الأميركية- الإيرانية حول العراق.

مقابلة مع: أنطوني كوردسمان (مركز الدراسات الدولية الإستراتيجية في واشنطن)

أجرى المقابلة: برنارد غيرتزمان؛ 2007/5/14

يقول أنطوني كوردسمان، وهو خبير معروف جداً بشؤون الشرق الأوسط السياسية والعسكرية، بأن المحادثات المعلن عنها على مستوى السفراء بين إيران والولايات المتحدة حول أمن العراق "قد تؤسس لأرضية عمل لتفاهم أفضل بكثير وإلى مفاوضات رسمية أكثر، على الأقل، بين الولايات المتحدة والعراق". لكنه يحذر من أنه "لا يوجد توافق في كل من واشنطن أو طهران حول المكاسب الناتجة عن محادثات كهذه، كما أنّ الفكرة ككل عن أن إجراء حوار بطريقة ما يصدر عنه نتائج مفيدة دوماً هي، بحسب إعتقادي، فكرة مضللة".

س: لقد أعلن بأن الولايات المتحدة وإيران ستجريان، في نهاية الأسبوع، محادثات على مستوى السفراء في بغداد حول الأمن في العراق. هل تعتقد بأن هناك أي سبب يدعوننا لأن نتوقع نتائج كثيرة من هذه المحادثات؟

ج: نحن بحاجة لأن نكون حذرين جداً. أولاً، من المشكوك به أن هذه المحادثات ستحل مشاكل أميركا في العراق أو أنها ستنتج بعض التقارب العميق المفاجئ مع إيران. إذ يُعتبر مجرد المضي من مسار الدبلوماسية المزدوج إلى حوار رسمي هو، بحد ذاته، خطوة إلى الأمام، حتى ولو لم يكن هناك فائدة مباشرة وفورية. فعلى المدى الطويل، قد يؤسس ذلك إلى أرضية عمل تفاهم أفضل بكثير وإلى مفاوضات رسمية أكثر، على الأقل، بين الولايات المتحدة وإيران.

س: ما الذي تتطلع إليه الولايات المتحدة فعلاً من الإيرانيين؟

ج: أولاً، تتطلع لأن توقف إيران عمليات نقل الأسلحة ودعم الميليشيات الشيعية، وبأن لا تدرّب هؤلاء وتجهزهم كقوى مستقلة، وبأن لا توظف مستشارين وعناصر من قوات القدس التابعة لها وعناصر أخرى من الجيش الإيراني ووكالات الإستخبارات في العراق. كما أننا نود

أيضاً أن نرى إيران تعمل مع الولايات المتحدة ومع قوى إقليمية في محاولة لصنع تسوية بين العرب الشيعة والعرب السنة. وبمعنى آخر، نحن نود أن نرى تعاوناً في إنشاء عراق مستقر، ووضع نهاية لكل من التمرد والصراعات الأهلية المختلفة والمتنوعة. أما لماذا ستريد إيران القيام بذلك في هذه المرحلة من الزمن، فإن ذلك أمر غير واضح كثيراً.

س: لماذا، برأيك، إنتظرت الولايات المتحدة كل هذا الوقت؟ كان هناك تقرير في العام الماضي بأنه تم إبلاغ السفير الأميركي، حينذاك، زلمي خليل زاد، بأن بإمكانه الاجتماع مع الإيرانيين للحديث حول العراق، لكن لم يحدث شيء مطلقاً.

ج: كما كان الديبلوماسي الأسبق، جايمس دوبيتز، قد أشار، فقد كنا قادرين على أن يكون لنا حوار وعلاقة محدودة مع إيران في التعامل مع أفغانستان، الأمر الذي تحول ليكون شيئاً بناءً جداً. حيث أنتج ذلك، فعلاً، تعاوناً في وقت كان شديد الأهمية في جلب الإستقرار الى غرب أفغانستان، وفي ضمان أن لا يكون هناك إنقسامات بين الأفغان الشيعة والأفغان الآخرين. لقد كان هناك في حينها حتى، خيار بالمضي الى الأمام. وبالواقع، كان ذلك بطل حكومة أكثر إيجابية بكثير في طهران، أي عندما كان الرئيس محمد خاتمي لا يزال في الحكم. وقد قدم الإيرانيون، على الأقل، الفرصة لتوسيع هذا التعاون الى داخل العراق. وشعرت الولايات المتحدة، في ذلك الوقت، وبصراحة، بأنها كانت مسيطرة للغاية في العراق، بحيث أنها لم تحتاج الى الدعم الإيراني. كما أن إدارة بوش أعطت الأهداف الإيرانية الأخرى أولوية أعلى بكثير: الحد من الإنتشار، إجبار إيران على قبول إسرائيل في مفاوضات سلام بين إسرائيل والفلسطينيين ودفع إيران لوقف دعمها لما تدعوها الولايات المتحدة بالجموعات الإرهابية-تحتيداً حزب الله، حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني. كما كان هناك شعور عام بأن دعم إيران للقوى داخل منطقة الخليج الفارسي مثل نوعاً مختلفاً من التهديد. كل هذه العوامل أخرجت أي نوع من أنواع الحوار، كما أثبتت حقاً إيمان المحافظين الجدد، والإيمان داخل إدارة بوش، بأن الطريقة الوحيدة أمام الولايات المتحدة للتعامل فعلاً، وبأي وقت، مع إيران هي بتغيير النظام.

س: لقد أدى ذلك المسار الى إستنتاج وإعتقاد ثابت على مدى السنوات العديدة الأخيرة بأن الولايات المتحدة تخطط لهجوم عسكري من نوع ما للقضاء على المواقع النووية. أما معظم الخبراء الآن، فيعتقدون بأن ذلك لن يحدث في هذه الإدارة، أليس كذلك؟

ج: علينا أن نكون حذرين جداً هنا، إذ لديك عدد من العناصر المختلفة، تحديداً بنظر الإيرانيين، لكن أيضاً في السياسة الأميركية. إذ لديك عنصر قوي داخل إدارة بوش يعتقد بأن النظام الإيراني هو نظام حساس نسبياً وبأن الولايات المتحدة عليها أن تسعى للإطاحة بالنظام الإيراني. وقد نال ذلك دعماً من كلا الجانبين في الكونغرس. وبالواقع، هناك صلاحية قانونية لإنفاق الأموال في محاولة لتغيير النظام الإيراني. أما الآن، فقد تم إنفاق ذلك التمويل بشكل غير مؤذٍ نسبياً وبطريقة غير فعالة بالكامل بما يتعلق بالجهود المبذولة للتعامل مع القضية من خلال الإعلام والنفوذ السياسي خارج إيران. إلا أن الإيرانيين لا يزالون يعتبرون هذا الأمر بمثابة مظهر خارجي لجهود سري للإطاحة بالحكومة الإيرانية. أما التهديد الثاني الملاحظ من قبل الإيرانيين، فهو الغزو المباشر. وهذا قد يكون جهوداً عسكرية لتغيير النظام الإيراني أساساً وكذلك لمعالجة الإنتشار النووي. وما شجع على هذا الفهم تقارير كنتك التي لسامور هيرش في صحيفة النيويورك، وكذلك قيام بعض ممن ذهبوا الى الخليج، وهم من الضباط المتقاعدين والخبراء الإستراتيجيين الأميركيين، بالإعلان، أساساً، في المنطقة بأن إدارة بوش تتآمر سراً لشن عملية غزو ضد إيران.

وكان البعض يقول بأن هذا الأمر قد يحدث في نسيان من هذا العام. وهذا، وبشكل واضح، لم يحدث، إلا أن ذلك أصبح موضوعاً وهاجساً ملحاً بحيث أن الصحف، على امتداد المنطقة، كانت تغطي واقع بأن لدى الولايات المتحدة مؤامرة سرية لغزو إيران وبأن نشر حاملتي طائرات في الخليج الفارسي كان تحضيراً لهذا الغزو.

أما البعد الثالث لهذا الأمر، فقد كان المخاطرة بعملية إستباقية أميركية أو إسرائيلية لقدرات إيران النووية. لقد كنا نتحدث فعلاً عن ثلاث جهود كانت تُعتبر بمثابة تهديدات لإيران، وإحدى هذه التهديدات، على الأقل، لم يتم تناولها بجدية وهذا مؤكد تقريباً، وهو مفهوم الغزو البري. أما الفكرة الأخرى حول الإطاحة بالنظام، فقد كانت، وبصراحة، أكثر بقليل من قوة سياسية، على الرغم أن هناك البعض في الولايات المتحدة والكونغرس ممن يعتقدون بأن مجموعات كمجاهدين خلق يامكانها لعب دور بطريقة ما في ذلك الأمر، وتجاهلوا حقيقة أن بعض هذه المجموعات تمثل أشخاصاً قتلوا، بشكل منهجي، مسؤولين وموظفين أميركيين رسميين عندما كنت لا أزال أخدم في إيران (في السبعينات)، وبأن مجاهدين خلق كانت إحدى أكثر المنظمات الإرهابية شراً وفساداً في تاريخ إيران قبل إخراجها من البلاد. هذه هي العوامل التي ستؤثر بهذه الحوادث بطريقة أو بأخرى، ومن المهم أن يدرك الناس كيف تنظر إيران إلى الأمور بشكل مميز عن الأميركيين. كما أننا لا يمكننا تجاهل ما كرره نائب الرئيس بأن الولايات المتحدة قد تنفذ ضربة للحد من الانتشار، أو وقائية ضد إيران وبأن الخيارات العسكرية كانت لا تزال على الطاولة وذلك فقط الشهر الماضي.

ص: قال ذلك عندما كان على إحدى حاملات الطائرات في الخليج الفارسي، أليس صحيحاً؟ لكن لدي إنطباع بأن الضربة الإستباقية أيضاً لا تمثل تهديداً حقيقياً حالياً.

ج: هذا سيكون احتمالاً أميركياً دائماً وثابتاً، مما يعني بأن الأميركيين سيتركون احتمال القيام بغزو أمراً مفتوحاً، وذلك بشكل غامض وغير محدد تقريباً في المستقبل. أما مدى حقيقة إمكانية حصول ضربة كهذه، فإن ذلك يعتمد بطرق عدة على فهم وتوقعات الولايات المتحدة عن مدى إقتراب إيران من الحصول على سلاح نووي. وفي هذه المرحلة من الزمن، تقدر الولايات المتحدة بأن ذلك أمراً مرجحاً بعد العام 2010. كما كان هناك تساؤلات جدية من نوع، "إذا ما كانت الولايات المتحدة ستنفذ ضربة كهذه، فهل من الحكمة القيام بذلك الآن؟"

أما الجدال المقتنع فيقول بأن على الولايات المتحدة تأجيل الأمر. أولاً، إن القيام بذلك بأسوأ لحظة من لحظات قتالها في العراق يمثل مجموعة من المشاكل. ثانياً، إن الولايات المتحدة ملتزمة علناً بالدبلوماسية على أعلى المستويات، وذلك بالعمل مع حلفائها الأوروبيين، ولم يتم بعد إستنفاد الورقة الدبلوماسية. ثالثاً، لدى الولايات المتحدة مشكلة مصداقية ضخمة، لأنها قالت بأنه كان هناك تهديد صاروخي نووي عراقي. فمن وجهة نظر عملانية، فإن لدى إيران، على الأقل، 23 موقعاً نووياً مشتبهاً به، وعدد من هذه المواقع كبير جداً ومنتشر في أنحاء إيران. و فقط إثنان من هذه المواقع يعتبران كبيران بشكل كافٍ حقاً ليمثلا إستثماراً كبيراً ورئيسياً في المواقع السرية تحت الأرض.

كما أن إيران تقوم الآن بوضع تجهيزات كافية في إحدى هذه المواقع، أي ناتانز، لتبرير ضربة كبرى بالواقع. وليس هناك من سبب مهم وكبير للمضي بتدمير سلسلة كبيرة من المواقع بشكل عشوائي، التي تُعتبر محدودة القيمة جداً، والتي يمكن لإيران أن تعيد إنشائها مرة أخرى وبسهولة، والتي قد تكون في الواقع عبارة عن حفرة فارغة قامت إيران بنشر تجهيزاتها فيها. إذ من الأفضل التمييز والانتظار حتى يصبح مجهود إيران أكثر نضجاً بكثير، وتصبح تجهيزاتها ذات قيمة أكبر بكثير بحيث يصبح الأمر أكثر صعوبة على إيران القيام بإستبدال أجهزتها في حال حدوث ضربة أميركية.

ص: دعني أنقل السؤال الى الجانب الإيراني. باعتقادك، ما الذي تود إيران مشاهدته يخرج من هذه المحادثات، هذا إن خرج شيء؟

ج: قد يكون هناك وفاق ضئيل في إيران، تقريباً، كالذي في الولايات المتحدة: فهذه ستكون محادثات بين دبلوماسيين محترفين وكفويين. وغالباً جداً ما يتطلع الدبلوماسيون المحترفون الى الإستقرار، فهم يبحثون عن الحلول وعن طرق يتجنبون فيها الحرب. كما أنهم لا يجعلون أنفسهم يغرقون في وحل القضايا الإيديولوجية. ففي عالم مثالي ونموذجي، يكون هناك مصلحة مشتركة. فالولايات المتحدة تريد عراقاً مستقراً، وهي مستعدة للقبول بعراق لا يُحوّل الشرق الأوسط. وهي، بالتأكيد، لا ترى أنّ هناك مستقبلاً لها بالنسبة لوجود قواعد في العراق، أو بأنّ يكون العراق منصة عسكرية للعمل في بلدان أخرى.

أما من وجهة نظر إيران، نظرياً، فإنها عليها ن تدرك بأنّ التسوية، بدلاً من حكومة مسمّاة شيعية، تعطي أملاً أكبر بالإستقرار على المدى الطويل. فالتعاون سيقدم لها شريكاً حقيقياً، أو على الأقل، جراً في العراق وربما يلطّف من مشاكلها الإستراتيجية مع الولايات المتحدة وكذلك من المشاكل التي تبدو أنّها تتزايد بين الدول السنية والشيعية نتيجة لصراع الفريقين داخل العراق، وحقيقة أنّ عدداً من حركات التطرف السلفية الجديدة، كالفاعدة، هي حركات معارضة للطائفة الشيعية بالقدر التي تعارض فيه الغرب.

هذا جدل منطقي، إلا أنّ الحقيقة هي أنّ القائد الأعلى وكذلك الرئيس الإيراني، وعدد من القادة العسكريين في الحرس الثوري الإيراني، هم أشخاص يملكون دوافع إيديولوجية. فهم يعتبرون أنّ الولايات المتحدة تخسر العراق وبأنها ستكون مجبرة، سياسياً، على الخروج من ذلك البلد. إنهم يرون صعود حكومة شيعية بأغليبتها مع إضعاف السنة، كما يرون وضعاً إستراتيجياً غريباً ومتميزاً حيث تقوم الولايات المتحدة بمحاربة التمرد السني بفعالية لكن ليس الميليشيات الشيعية، أو حتى العناصر الأكثر راديكالية، وذلك لأنّ هذه الميليشيات وقفت جانباً. وبذلك تبدو الولايات المتحدة، من جهة، أنّها متوجهة نحو هزيمة، طويلة الأمد، بالحرب، ومن جهة أخرى تبدو أنّها تنشئ عراقاً يهيمن عليه الشيعة، والذي سيُقاد من قِبَل أفرقاء معتمدين جداً على إيران. فالجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، العضو الأكبر في التحالف الشيعي، هو بقيادة عبد العزيز الحكيم، الذي يعترف بالقائد الأعلى في إيران بصفته مؤثراً بكل الشيعة. أما ميليشياه، أي منظمة بدر، فقد نُظمت ودُرِبَت من قِبَل الإيرانيين. وبحسب تقارير عديدة، فإنّ مقتدى الصدر، وهو قائد شيعي منافس، كان قد أُجبرَ على طلب اللجوء في إيران. ومهما يمكن أن تكون ردات فعله تجاه إيران، فإنه الآن، على ما يفترض، أكثر اعتماداً عليها.

وهكذا فإنه عندما تنظر الى الهيكلية الإيديولوجية داخل إيران، وتنظر الى هذا النوع من الدوافع الضيقة والقصيرة الأمد، فإنهم (الإيرانيين) قد يتحدثون الى الولايات المتحدة، في حين يستمرون بإستغلال الوضع والسعي للفوز في العراق، وذلك بوعي وقدرة مباشرة على الفهم للمساعدة على التسبب بهزيمة الولايات المتحدة وتقويض موقعها ومركزها الواسع في الخليج. ولا أعتقد أنّ بإمكاننا الحكم الآن على ما سيحدث.

هناك بالواقع سبب للحديث على هذا المستوى لنعلم ما الذي سيحدث تماماً. إلا أنّ الفكرة ككل عن أن إجراء حوار بطريقة ما سيصدر عنه نتائج مفيدة دوماً، هي، بحسب اعتقادي، فكرة مضللة. أما بالنسبة لكل الحديث حول حقيقة أنّ الولايات المتحدة وإيران لا تتواصلان، فإنّ الحقيقة هي أدنى من ذلك، وبمستوى أقل ظهوراً للعيان. فالبلدان كانا يتواصلان بشكل مباشر جداً، وعلى الدوام تقريباً، وذلك منذ سقوط الشاه.

